دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الثاني والستون
62
ذو القعدة - يونيو
1442 هـ / 2021 م

البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae

ALWASL UNIVERSITY

مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الثاني والستون

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - يونيو ٢٠٢١ م

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩x

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــات

الأَدَاءُ بِالسَّكت في العَربيّة والقُرآن الكَريم بَيانًا وبَلاغَةً

The Eloquent and Rhetoric Role of Pause in Enunciation of Arabic and in the Holy Qur'an

د. علي بن يحيى عبد الرحيم
جامعة تبوك – المملكة العربية السعودية

Dr. Ali Yahya Nasr Abdel Rahem
Tabuk University- KSA

https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i62.01

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

يبرُز (السّكت) عنصًرا أدائيًّا فاعلًا، له دوره في بيان الرسالة اللغوية المنطوقة، وفي فضّ الاشتباك بين حدود التراكيب المتداخلة، فضلاً عن الدور الذي يؤدّيه في تحقيق الأثر البلاغي لدى المستمع، عند أداء التراكيب المبنيّة على القطع والاستئناف، وتأصيلًا لهذا الدور، فقد قام البحث برصد بعض الإشارات التراثية التي تبينَّ من خلالها أنّ هذا النّمط من الأداء لم يكن بعيدًا عن البيان العربي تصنيفًا واستعمالًا، ومن خلال بحث أثر الأداء بالسّكت في بلاغة التراكيب المتعاقبة المبنية على ما يُعرف بلاغيًّا بشبه كمال الاتصال، وكمال الانقطاع مع الإيهام، وكذا المبنية على الجناس التام المركب، توصّل البحث إلى الدور البلاغيّ الذي يؤديه هذا اللون من الأداء، وتناول البحث أيضًا بلاغة السّكت في القرآن الكريم، مركزًا على تحليل مواضعه الأربعة في قراءة الإمام حفص، ليتوصّل أخيرًا إلى أنّ لكل سكتة بلاغتها، فضلًا عن المقاصد البيانية الظاهرة فيها، ومن ثمّ، يثبت البحث أنّ الأداء بالسّكت في الخطاب المنطوق له دوره البارز في تحقيق الوظائف الاتصالية والتأثيرية للغة.

الكلمات المفتاحية: الأداء، السّكت، اللسّانيات، البلاغة الصوتية، الاتصال اللفظي.

Abstract

In the situations of Arabic text enunciation, the importance of the pause in reading comes as an effective element in the disengagement of the limits of the interference of the meanings, to achieve communication between the (sender) and (receiver).

It is clear that the performance by pause is not far from the classified rhetoric mind as a method of meanings formation, and by examining the effect of performance by pauses in the eloquence of successive structures, and well as based on The complete anagrams, the research reached the rhetorical role that this color of performance performs, and the research also dealt with the eloquence of Pause in the Holy Qur'an, focusing on the analysis of its four positions in the reading of Imam Hafs, to finally conclude that each pause has its rhetoric, Hence, the research proves that performance by pause in spoken discourse has a prominent role in achieving communicative and influential functions of language.

Keywords: Performance/Pause/linguistics/phonetic rhetoric/verbal communication.

مقدمة

الحمد لله حتّى يبلغ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على رسول الله، سيّدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فهذه مقاربة لسانية، تتوجّه صوبَ ظاهرة صوتية من ظواهر الخطاب المنطوق في اللغة العربية، كما تقاربُ نمَطًا مخصوصًا من أنماط أداء القرآن الكريم، ألا وهو الأداءُ بـ(السّكت)؛ لما له من أثر بارز في بيان المعاني وبلورتها، ولما له من دور كبير في تحقيق الأثر البلاغي وإدراكه في بعض التراكيب، ولا يخفى أنّ اللغة العربية في سبيل تحقيق أغراضها الإبداعية والإمتاعية والإقناعية، تعتمد على الخطاب الشفهي المنطوق، مثلما تعتمد على النصّ المكتوب تمامًا بتمام، وإذا كانت اللغة المكتوبة تتميّز عن المنطوقة بالاستمرارية، وتجاوز حدود الزمان والمكان، فإنّ للّغة المنطوقة لها عليها ميزة الحركة والحياة، وفي كثير من حالات أداء الخطاب المنطوق، يتوقّف بيان المعاني وتشكيلها، وإدراك الأثر البلاغي لها على النّمط الصوتيّ الذي يُؤدَّى به الكلام.

والحقيقة أنّ بحث موضوع (السّكت) وبيان أثره في الدلالة ليس بالأمر الجديد في محيط دراسات العربية، فقد تطرّق إليه الأقدمون كما سيشير البحث في التأصيل للظاهرة، كما تناوله المحدثون ضمن دراسات لغوية موسّعة، كدراسة د. مصطفى النحاس (١٩٩٥م) «من قضايا اللغة»، التي تناولت الفواصل الصوتية في الكلام، وأثرها في المواقع النحوية(دراسة في الوقف والسّكت)، وذلك ضمن ثماني قضايا شملتها الدراسة، تمثّل فروع اللغة المختلفة من: نحو، وصرف، وأصوات، ودلالة[١]. كما أشار د. حمدان أبو عاصي (٢٠٠٩م) إلى دور الوقفات (Pauses) بوجه عام في تشكيل المعنى، وذلك في بحثه الموسوم

١- ينظر: د. مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، ص٧، وص٨٥ وما بعدها، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

بـ «الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى»، وهو بحثٌ قائم على ما يعرف بـ(اللغة الجانبية) التي تصاحب الكلام وتسهم في تحديد معناه، من: الوقفات، والتنغيم، والنّبر، والتزمين، والإيقاع، والسياق، والحركة الجسدية المصاحبة للكلام[١].

ودُرس (السّكت) أيضًا في بحث مستقل قام به الباحث علي الخيكاني (٢٠١٥م) تحت عنوان: «مفهوم السّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى»، وقد ركّزت هذه الدراسة على تحديد مفهوم (السّكت) مقارنة بالمصطلحات المتداخلة معه في المفهوم: كالوقف، والمفصل، والاستراحة، وعلى علاقة السكت بالإعراب، ومواضع السكت، والأغراض الدلالية له[٢].

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ما سيُعنى به البحث ههنا هو دور السّكت وأثره في الكلام حين يكون الأداء به مسلكًا إلى حسن البيان، وسبيلاً إلى تحقيق بلاغة القول وإدراك أثرها في الخطاب العربي المنطوق، فضلًا عن تأصيل هذا الدور من خلال الرؤية البيانية التراثية، ومن خلال القرآن الكريم، كون السّكت يمثّل أحد أنماط الأداء فيه، لا سيما السكتات الأربعة المعروفة في قراءة الإمام حفص عن عاصم، التي سوف يتلمّس البحث في أدائها لطائف بلاغية متنوعة، وبهذا التوجّه يرجو الباحث أن يضيف إلى دائرة البحث البلاغي نقطة جديدة، وهذا ما لم يتطرق إليه أيٌّ من الدراسات السابقة المشار إليها آنفًا.

ومن ثمّ يأتي البحث في هذا الموضوع محاولًا الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما المراد بالأداء؟ وما مفهوم السكت؟ وهل عرفت العربية في تراثها هذا النمط

١- ينظر: د. حمدان رضوان أبو عاصي: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، ص ٥٧-٩٠، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٩م.
٢- ينظر: د. علي سعيد جاسم الخيكاني: مفهوم السّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى، ص ٢١٩-٢٤٢، مجلة العميد، السنة الرابعة، المجلد الرابع، العدد ١٦، كانون الأول ٢٠١٥م.

من الأداء؟ وهل ثمة علاقة بين الأداء بالسّكت وبين البيان؟ وما دور السّكت في نظم المعاني وتشكيلها، وفي تحقيق الأثر البلاغي؟ وماذا عن السّكت في الأداء القرآني؟

أمّا عن منهج الدراسة، فقد سلك البحث سبيل المنهج الوصفي حينًا، والتّحليليّ حينًا آخر، وجاء في ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد، تناول تحديد مفهوم (الأداء، والسكت)، وتلحقها خاتمة، تضمّنت نتائج الدراسة، أمّا المباحث الثلاثة فهي:

المبحث الأول: السّكت في التراث البياني العربي.

المبحث الثاني: الأداء بالسّكت بين البيان والبلاغة.

المبحث الثالث: بلاغة السّكت في الأداء القرآني.

تمهيد

الأداء: في اللغة يدور حول معنى القيامِ بالشيء وقضائه، وإتمامه وإنهائه؛ يقول ابن منظور (ت٧١١هـ): «أَدَّى الشيءَ: أَوْصَلَهُ، والاسم الأَداءُ...، ويقال: أَدَّى فلان ما عليه أَداءً، وتَأْدِيةً، وتَأَدَّى إليه الخَبرُ، أَي: انْتَهى»[١]، والأداء في اللغة له وجه ارتباط بالنطق ومخارج الحروف؛ ففي معجم تاج العروس: «يقالُ: هو حَسَنُ الأَداءِ، إذا كان حَسَنَ إخْراجِ الحروفِ من مخارجِها»[٢].

وفي تراثنا العربي، يطلق (الأداء) على الممارسة الصوتية للقرآن الكريم؛ فقد ورد في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: «الأداء عند القراء، يطلق على أخذ القرآن عن المشايخ»[٣]، أمّا في محيط الدراسات اللسانية، فالأداء هو: فنّ النطق[٤]، أو فنّ إلقاء الكلام؛ يقول د. كمال بشر (ت١٤٣٦هـ): «الكلام بمعنى عملية أداء الرسالة اللغوية نطقاً، أو كيفية إلقائها، فن من الفنون التي يصعب على كثير من الناس إدراك أهميتها، وتذوق قيمتها، وأسرار أبعادها، وتأثيرها في التواصل»[٥]، والأداء بهذا المعنى، يُقصد به: «المهارة الفنية في استغلال الصوت، بما يخدم الإنسان في تعامله واتصاله بالآخرين، في شكل جميل وممتع ومثير»[٦].

من خلال ما تقدّم يمكن للباحث تعريف (الأداء) إجرائيًا بأنّه: «عبارة عن ممارسة النطق باللغة بطريقة معبّرة، في مواقف اتّصالية، ضمن سياق معيّن».

١- لسان العرب، مادة (أدى) ١ / ١٠١، تح. أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢- الزبيدي: مادة (أدى) ٣٧ / ٥٧، تح. مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة التراث العربي (١٦)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
٣- محمد علي التهانوي: ١ / ١٢٧، تح. د.علي دحروج عناية، و د. عبد الله الخالدي، ترجمة: د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٤- ينظر: د.أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، ٣٤٨، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.
٥- فن الكلام: ١٦٥ بتصرف يسير، دار غريب، القاهرة (د.ط)، ٢٠٠٣م.
٦- د. عبد الحميد حسن: فن الإلقاء، ٢٧، دار نشر الثقافة، الإسكندرية، (د.ط، د.ت).

السّكت: في اللغة خِلاف النطق؛ يقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): «السين والكاف والتاء، يدلُّ علىَ خِلاف الكلام»[١]، وفي لسان العرب: «السّكت، والسُّكُوتُ: خلافُ النُّطْقِ، وقد سَكَتَ يَسْكُتُ، سَكْتاً، وسُكاتاً، وسُكوتاً»[٢]، وفي تهذيب اللغة: «...والسّكت من أصول الألحان: شِبْه تنفّس بين نغمتين من غير تنفس، يراد بذلك فصل ما بينهما»[٣]. وإذا كان كل من (السّكت) و(السكوت) يدل على خلاف النطق، فإنّ ثمة فرقًا لطيفًا بين الكلمتين، يبيّنه الراغب الأصفهاني بقوله: «السّكت يختص بسكون النَّفَس، أما السكوت فإنه مختص بترك الكلام»[٤]، ويتضح الفرق جلياً بين (السّكت) و(السكوت) عندما يُلحق كل منهما بالأسرة الدلالية المنتمي إليها في المعاجم اللغوية[٥]؛ إذ يتصل (السكوت) من قريب أو من بعيد بالألفاظ الدالّة على ترك الكلام، كالصّمت، والإنصات، والإطراق، والوجوم، أما (السّكت) فلاختصاصه بسكون النَفَس، يقترن بالألفاظ الدالة على قطع الصوت في أثناء الكلام، كالوقف، والقطع، ومن ثم ارتبط مصطلح (السّكت) في التراث العربي بعلم الأداء والتجويد، على أنه نمط مخصوص من أنماط الأداء القرآني.

والسّكت في اصطلاح علماء تجويد القرآن الكريم «عبارة عن قطع الصوت زمناً هو دون زمن الوقف عادة من غير تنفس»[٦]، وبهذا التعريف يميّز المتأخرون

١- معجم مقاييس اللغة، مادة (س ك ت): ٣/ ٨٩. تح. عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

٢- ابن منظور، مادة (س ك ت): ٦/ ٣٠٣.

٣- أبو منصور الأزهري: ١٠/ ٤٨، تح. علي حسن هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت).

٤- المفردات في غريبِ القرآن: ٢٣٦، تح. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د. ت)

٥- صمت و أَصْمَتَ: أطال السكوت، أما الإِطْرِاقُ فهو السكوت عامة، وقيل: السكوت من فَرَق، والإطْراقُ: أن يُقْبل ببَصره إلى صَدْره ويَسْكت، والإنصات: هو السكوت للاستماع، أو السكوت والاستماع، والوُجومُ: السكوتُ علىَ غَيْظ. لسان العرب (صمت: ٧/ ٤٠٠)، (طرق: ٨/ ١٥٣)، (نصت: ١٤/ ١٥٨)، (وجم: ١٥/ ٢٢٣).

٦- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١/ ٢٤٠، راجعه: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

من علماء التجويد[١] مصطلح (السّكت) عن كل من مصطلحي: (الوقف)، و(القطع) بالزمن المستغرق في الأداء؛ فيعرِّفون (الوقف) بأنه: «عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمناً يتنفس فيه عادة، بنيّة استئناف القراءة»[٢]، أمّا (القطع) فيعرّفونه بأنّه: «عبارة عن: قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء؛ فالقارئ به كالمعرض عن القراءة»[٣]. وهكذا حدّد علماء التجويد بدقّة مفهوم (السّكت) في الأداء القرآني.

أمّا المحدثون، فمنهم من أقرّ (السّكت) بمفهومه لدى الأقدمين، مع إضفاء البعد التنغيمي في أدائه، حيث يقول د. كمال بشر: «السّكتة في اصطلاحنا أخفّ من الوقفة، وأدنى منها زمناً، وهي في حقيقة الأمر لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعاراً بأن ما يسبقها من كلام مرتبط أشد ارتباط بما يلحقها، ومتعلق به»[٤]، وكذلك يرى د. مصطفى النحاس، الذي يعرّف السّكت بأنه: «نوع من الوقف بمفهومه العام، لا بمفهومه الاصطلاحي في علم وقف القرآن؛ وذلك لأنّ السّكت فيه قطع الصوت كالوقف، والفرق بينهما في الزمن، والطريقة، وأداء المعنى، فالسّكت يصحبه تنغيم معين، وزمنه أقل من زمن الوقف، ولا تنفس فيه؛ لأنه لا يدل على تمام المعنى، كما أن حركة الإعراب باقية معه، أمّا الوقف فلا بد فيه من قطع النفس، والزمن فيه حرّ غير مقيد، فقد يطول وقد يقصر، لكنه لا يصل إلى زمن السّكت، كما أنه يدل على كمال المعنى، وفيه كسر الإعراب بإحلال السكون محل الحركة»[٥]، فالسّكت إذن بوصفه نمطًا من أنماط الأداء اللغوي داخل في

١- ذكر الإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) أن (الوقف)، و(السّكت)، و(القطع)، هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة، وأما عند المتأخرين وغيرهم من المحققين فإنّ كلاً من المصطلحات الثلاث له تعريف يميزه عن الآخر، ينظر: السابق: نفسه.

٢- ابن الجزري، مرجع سابق: ١ / ٢٣٩.

٣- السابق: نفسه.

٤- د. كمال بشر: علم الأصوات، ٥٧٧، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٥- من قضايا اللغة: ١١٢.

إطار التنغيم، وهو شكل من أشكاله. ومن المحدثين من يطلق على هذا النمط من الأداء مصطلح (الوقفة)[1]، أو (المَفْصِل)؛ حيث يقول د. أحمد مختار عمر: «المَفْصِل.. عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي، بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما، أو مقطع ما، وبداية آخر»[2]، وإن كان بعضهم يطلق مصطلح (المَفْصِل) ليشمل: الوقفات، والسّكتات، والاستراحات[3].

من خلال ما تقدّم ندرك أنّ (السكت) نوع من أنواع الوقف بين أجزاء الكلام المنطوق المتتابع، والفرق بينه وبين الوقف في الأداء لطيفٌ جداً، ذلك أنّ خفّة الأداء، وعدم التنفّس، وقلة الزمن التي تميّز (السّكت) عن (الوقف) أمور نسبية، لا يمكن ضبطها بضابط دقيق، كما أنها تختلف من متكلم إلى آخر، ومن ثَمّ يبدو لنا تداخل ما بين مصطلحات (الوقف)، و(السّكت)، و(المفصل) حتى عند علماء اللغة المتخصّصين[4]، والمعوّل عليه في التفريق بين (السكت) و(الوقف) هو التنغيم المصاحب للأداء بالسكت، الذي يُشعر بارتباط لاحق الكلام بسابقه ارتباطاً شديداً، ويتّفق الباحث في تصوّر السّكت والأداء به مع رؤية د. كمال بشر[5] في كون السكتة لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، إشعاراً

١- ينظر: د. حسام سعيد النعيمي: أبحاث في أصوات العربية، ٧٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ود. عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ٣٧٩، دار صفاء، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ود. غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، ٢٦٣، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢- دراسة الصوت اللغوي: ٢٣١، وينظر ماريو باي: أسس علم اللغة، ٩٥، ترجمة د. أحمد مختار عمر، طرابلس، ١٩٧٣م.

٣- ينظر د. حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، ٢٤٧، نشر زهراء الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٤- ممّا توصّل إليه الباحث علي سعيد الخيكاني أنّ هذه الظواهر الصوتية بينها تداخل كبير، فالوقف، والسّكت، والمفصل، والاستراحة، كلها تدل على قطع الكلام مع وجود تفاوت في ذلك، فالوقف ما يحسن الابتداء بعده، وتمتد مدته حتى عُدّ ما قبله تامًا ولا يحتاج إلى ما بعده، والمفصل يجمع بين الوقف والسكت على السواء، والسكت أو السكتة قطع الصوت من دون تنفس دلالة على اتصال ما قبلها بما بعدها، فهي فاصلة في النطق، واصلة في المعنى، والاستراحة هي فرصة لمجرد أخذ النفس ولا ضابط لها. انظر: «مفهوم السّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى» ص٢٣٧.

٥- راجع: علم الأصوات، ص٥٥٥، و٥٧٧.

بأن ما يسبقها من كلام مرتبط أشدّ ارتباط بما يلحقها، ومتعلق به، وأنها تكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلًا على عدم تمام الكلام.

المبحث الأول: السّكت في التراث البياني العربي

إذا كان الأداء بالسكت يمثّل شكلاً من أشكال التنغيم في اللغة المنطوقة، فإنّ من الباحثين المحدثين[١] من يرى أنّ الفكر العربيّ المصنّف لم يلتفت أصلاً إلى دور (التنغيم) في اللغة العربية، متأثرين في ذلك برأي المستشرق الألماني برجشتراسر (ت: ١٣٥٢هـ)، الذي يرى أنه باستثناء الإشارات إلى ما يشبه النغمة لدى علماء التجويد، فإنه لا يوجد نصّ في التراث العربي يمكن الاستناد عليه في إجابة مسألة: كيف كان حال العربية الفصيحة في هذا الشأن؟[٢].

وإذا كان الأقدمون لم ينصّوا على (التنغيم) مصطلحًا في دراساتهم اللغوية، فالحقيقة أنّ العديد من الدراسات اللغوية المعاصرة[٣] أثبت معرفة القوم بالمفهوم العام للتنغيم، حيث يقول د. أحمد كشك: «إنّ قدامى العرب، وإن لم يربطوا ظاهرة (التنغيم) بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم إن تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإنّ ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكية لّماحة تعطي إحساساً عميقاً بأنّ رفض هذه الظاهرة تماماً أمر غير وارد، وإنْ لم يكن لها حاكم من القواعد»[٤].

١- من هؤلاء: د. تمام حسان، الذي يرى أنّ العربية الفصحى لم تعرف دراسة التنغيم في قديمها، وأن القدماء لم يسجلوا لنا شيئاً عن هذه الظاهرة، وكذلك يرى الباحث محمد الأنطاكي، الذي استنتج من عدم إشارة النحاة إلى قواعد التنغيم في كتبهم أن هذه القواعد قديماً كانت مجهولة تماماً، ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٩٧، ١٩٨، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٧٩م، ودراسات في فقه اللغة العربية: ١٩٧، دار الشرق العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، (د.ت).

٢- انظر: برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ٤٦، ٤٧، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مطبعة السماح، القاهرة، ١٩٢٩م.

٣- ينظر: د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، ط. القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، و د. هايل محمد الطالب: ظاهرة التنغيم في التراث العربي، منشور في مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد (٩١)، السنة الثالثة والعشرون، رجب ١٤٢٤هـ/ سبتمبر ٢٠٠٣م.

٤- من وظائف الصوت اللغوي، ٥٧، ٥٨.

والحقيقة أنّ ما ذهب إليه (برجشتراسر) ومن سار في فلكه من محدثي اللغويين العرب من أنّ الفكر العربيّ المصنّف لم يلتفت إلى دور (التنغيم) في اللغة العربية الفصيحة لا يمكن قبوله والتسليم به على عمومه، ذلك أنّ بعض الأنماط التنغيمية كـ(السّكت) مثلًا كان معروفاً على مستوى التنظير اللغوي العربي، لكونه مصطلحًا له مفهوم محدد في علم الأداء والتجويد القرآني، كما كان معروفاً في الواقع اللغوي العربي التداولي تطبيقاً واستعمالاً؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: عُرف (السّكت) بوصفه مصطلحًا في التراث العربي في نطاق علم الأداء والتجويد، على أنّه نمط مباين للوقف في الزمن وطريقة الأداء كما مرّ آنفاً، وإنْ كان غالب المتقدمين من أهل هذا العلم لا يميّز بينه وبين مصطلح (الوقف) أو (القطع)؛ حيث يقول ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ): «(الوقف)، و(السّكت)، و(القطع)، هذه العبارات جرت عند كثير من المتقدمين مراداً بها الوقف غالباً، ولا يريدون بها غير الوقف إلا مقيدة»[١]، والتفريق الدقيق بين هذه المصطلحات لم يُعرف إلا عند المتأخرين، كما ذكر ابن الجزري[٢].

ولم تكن الدراسات البيانية القديمة بمنأى عن إدراك أهمية الفصل بين مقاطع الكلام وحدوده في جودة الإفهام وحسن البيان، سواء في أداء الكلام المنطوق، أو في رسم النص المكتوب، حيث عقد أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) الباب العاشر من كتابه (الصناعتين) على ذكر (مبادئ الكلام ومقاطعه، والقول في حسن الخروج والفصل والوصل، وما يجري مجرى ذلك)، وفي حديثه عن المقاطع، والفصل والوصل، ذكر أبو هلال عدة مقولات منسوبة لبعض المعنيين بالبيان في الجاهلية والإسلام، يمكن للمتأمل أن يدرك من خلالها أن المقصود

١- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١/ ٢٤٠.
٢- انظر: السابق، نفسه.

بالفصل بين مقاطع الكلام، إمّا الأداء بالسّكتة والوقفة بين حدود الجمل المتداخلة في الكلام المنطوق، أو ما يقوم مقام ذلك في رسم النص المكتوب؛ فمن المقولات التي تشير إلى دور الفصل بين مقاطع الكلام في أداء النص المنطوق، ما يأتي:

١- «قال الأحنف بن قيس: ما رأيت رجلاً تكلّم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام...، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ»[1].

٢- «لما أقام أبو جعفر صالحا خطيبا بحضرة شبيب بن شيبة وأشراف قريش فتكلم، أقبل شبيب فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت كاليوم أبين بيانا، ولا أربط جنانا، ولا أفصح لسانا، ولا أبلَّ ريقاً، ولا أغمض عروقا، ولا أحسن طريقا، إلا أن الجواد عسير لم يرض... وايم الله لو عرف في خطبته مقاطع الكلام لكان أفصح من نطق بلسان»[2].

ومن المقولات التي أورها العسكري تشير إلى أهمية الفصل بين المقاطع في رسم النص المكتوب ما يأتي:

١- «كان أكثم بن صيفي إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتّابه: افصلوا بين كل معنىً منقضٍ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض»[3].

٢- «كان الحارث بن أبي شمر الغسّاني يقول لكاتبه المرقش: إذا نزع بك الكلام إلى الابتداء بمعنىً غير ما أنت فيه، ففصِّل بينه وبين تبيعته من الألفاظ، فإنك إن مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تمذق به نفّرت القلوب عن وعيها، وملّتها

١- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ٣٤٩، مطبعة محمود بك، الآستانة، الطبعة الأولى، ١٣٢٠هـ.

٢- السابق: ٣٥١.

٣- السابق: نفسه.

الأسماع، واستثقلتها الرواة»[1].

فمن خلال تلك النصوص، ندرك مدى تقدير المعنيين بالبيان العربي قديماً لدور الفصل بين مقاطع الكلام نطقاً وكتابةً، وإن شئت قل: إنهم عُنوا بالأداء بـ(السكت: الوقف) عنصرًا مائزًا بين مقاطع الكلام المنطوق، كما ورد في وصف الأحنف بن قيس أداءَ عمرو بن العاص، وإطرائه عليه بأنّه (كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبيعته من الألفاظ)، كما عُنوا بالتمييز بين مقاطع الكلام في رسم النصّ المكتوب، وذلك واضح في تنبيهات أكثم بن صيفي الذي أوصى كتّابه بالفصل بين كل معنىً منقضٍ، والوصل إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض، الأمر الذي تطوّر فيما بعد، وتبلور في صورة (علامات الترقيم)، و«هي علامات اصطلاحية توضع بين الكلمات والجمل أو العبارات؛ لتفك الاشتباك الدلالي بينها، ولترشد إلى حدودها الدلالية، ولتنظم العلاقة بينها وتوضحها»[2]، غير أنّ هذه الإشارات وإن استثمرها البلاغيون في بناء مبحث الفصل والوصل فيما بعد، وفي تصنيف العلاقات بين الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب، إلا أنّ هذه الإشارات ونحوها لم تُدرس على نحو تحليلي واسع ومفصل، كما أنها لم تأخذ حظّها الكافي من الدراسات الصوتية البيانية لدى المتأخرين من البلاغيين.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنه في نطاق التصنيف البلاغي لدى المتأخرين في مبحث (الفصل والوصل)، وردت إشارة لافتة تؤكد على دور الأداء بالسّكت تحديداً في دفع الإيهام الناشئ عن تغاير طبيعة التراكيب المتجاورة، حيث نصّ ابن عرفة الدسوقي (ت: ١٢٣٠هـ) على أن (السّكت) يقوم مقام (الواو) فيما يعرف لدى البلاغيين بالوصل لكمال الانقطاع مع الإيهام، من مثل

١- السابق: نفسه.

٢- د. عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة العوامل والمظاهر وآليات التأويل، ٢٨٩، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٧٩، ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ مارس ٢٠٠٢م.

قولهم في المحاورات عند قصد النفي لشيء تقدم، مع الدعاء للمخاطب بالرحمة أو بالتأييد مثلاً: (لا ويرحمك الله)، (لا وأيدك الله)، حيث قال: «واعلم أن دفع الإيهام لا يتوقف على خصوص العطف، بل لو سكت بعد قوله: لا، أو تكلم بما يدفع الاتصال، ثم قال: يرحمك الله، أو: أيدك الله من غير عطف، لكان الكلام خالياً عن الإيهام، وقد فصل بعض القراء بين (عوجا) و (قيما) دفعاً لتوهم أن قيما صفة لعوجا»[١].

وإذا تأمّلت وجدت أنّ نصّ الدسوقي يحوي كلاماً نفيساً يدل على مدى إدراك قائله لخصائص الخطاب المنطوق، فضلاً عن إدراكه للوظيفة التواصلية للغة، «وهذا كلام جيد، قوي التحديد، ومزيل للحصر الذي كان قائماً في دفع الإيهام بالعطف؛ إذ الأمر قائم بين المتكلم والسامع، والسامع يستطيع بسهولة ويسر أن يرتب معاني ما يسمعه إذا ما سكت المتكلم، أو تكلم بما يدفع الاتصال، وهذا أمر مشاهد ومتخيل الوقوع كثيراً»[٢].

كما تنبّه بعض المتأخّرين من النحويين إلى دور (السّكت) في الإفهام النحوي، حيث عقّب الشيخ يس صاحب (حاشية شرح التصريح على التوضيح) على توكيد الحرف قائلاً: «الحرف إن كان جوابياً، أو مفصولاً بسكتة، أو باعتراضية، أو بعاطف فلا شرط، نحو: (لا، لا أبوح بحب بثنة إنها)، ونحو: (فما، ما من حمام أحد معتصماً)، ونحو: (ليت، وهل ينفع شيئاً ليت)، ونحو: (ليت شعري هل، ثم هل آتينهم)»[٣].

١- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٣ / ٦٧، مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢- د. يحيى محمد يحيى: دراسات وتطبيقات في علم المعاني، ٢ / ١٧٢، مطبعة الأمانة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣- حاشية يس، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري: ٢ / ١٣٠، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) بمصر (د.ت، د.ط).

والحقيقة أنّ تلك الإشارات كان ينقصها ضربة بمعولٍ آخرة حتى تتفجر ينابيعها، ولو أنها نما عودها، وتشعبت فروعها، لآتت أكلها، ولامتدّت إلى ما هو أبعد من (السّكت) من مظاهر الأداء الخطابي، أقول: لو تنبّه المشتغلون بالدراسات اللغوية والبيانية إلى مثل هذه الإشارات وغيرها، لكنّا قد توصّلنا اليوم إلى نظريات لسانية عربية خالصة، سابقة للسانيات الغربية ومتفوقة عليها.

ثانياً: أمّا عن الاستعمال، فإنّ الباحث يزعم أن تطبيق مفهوم السكت بين حدود الجمل ومقاطع الكلام كان معروفاً وممارَساً في أداء اللغة العربية قديماً وحديثاً، سواء سمي سكتاً أو وقفاً، بل أقول: إنه لا يُتصوّر أبداً أداء اللغة المنطوقة بدونه، حيث إنه يمثّل ظاهرة فيزيولوجية ضرورية للناطق لأخذ النَفَس من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه لا غنى عنه للفصل بين حدود المعاني، وتمييز مقاطع الكلام، وكما يقول د. تمام حسان: «اللغة العربية الفصحى في عصرها الأول ككل لغات العالم، ربما أهملت أن تذكر الأدوات في الجملة اتّكالاً على التعليق بالنغمة، فكان من الممكن مثلاً أن نفهم معنى الدعاء من قولهم (لا وشفاك الله) بدون (الواو) اتّكالاً على ما في تنغيم الجملة من وقفة واستئناف»[1].

لكن توظيف هذا النمط من الأداء في تشكيل المعاني، وفي تحقيق البلاغة والبيان وحسن الإفهام، لا يبلغ شأوه إلا أرباب الفصاحة والبيان، فها هي ذي السيدة عائشة -رضي الله عنها- تصف أفصح بيان بشري بقولها: «ما كان رسول الله -ﷺ- يسرد كسردِكم هذا، ولكنّه كان يتكلم بكلام يبيِّنُه، فَصْلٌ، يحفظه من جلس إليه»[2]، ومعنى يسرد كسردكم «أي: يتابعه، ومثله: فلان يسرد الصيام

١- د. تمام حسّان: اللغة العربية معناها ومبناها، ٢٢٧.

٢- رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح. سنن الترمذي: ٦ / ٣٧، تح. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٨م.

سرداً، أي: يواليه»[١]، وهذا يدل على تميّز البيان النبوي في أدائه بميزة السّكت والتوقف بين حدوده ومقاطعه، حتى يتبيّنه من يسمعه فيتمكّن من حفظه، فضلاً عن فهمه ووعيه وإدراك بلاغته، فقد نفت السيدة عائشة –رضي الله عنها– السردَ عن كلام النبي –ﷺ– وأكدّت ذلك بقولها: «ولكنّه كان يتكلم بكلام يبيِّنُه، فَصْلٌ، يحفظه من جلس إليه» بما يعني أنّ كلامه –ﷺ– كان محدّد المقاطع، بيّن المفاصل، بعيداً عن التتابع والتداخل، وذلك شأن البيان النبوي الرفيع، وشأن كل بيان منطوق يبتغي استمالة القلوب، وجذب الانتباه، وإصغاء السامعين.

المبحث الثاني: الأداء بالسّكت بين البيان والبلاغة

أولا: السّكت والبيان

لا شك في أنّ إيصال الرسالة اللغوية واضحة جليّة، دون تداخل يُفضي إلى لبس أو غموض، هو المعنى الأول الذي يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة (البيان)، وفي حالاتٍ كثيرة من أداء الخطاب المنطوق، يتوقف فهم المعنى وبيانه على الطريقة الصوتيةِ التي يُؤدّى بها الكلام، وهنا يأتي دور (السّكت) حين يوظفه المتكلم في فضّ الاشتباك بين المعاني المتداخلة؛ ليحقّق به لسامعه الإفهام وحسن البيان.

وإذا كانت المعاني تتشكل في الذهن أولاً، ثم تظهر في صورة لفظية عند النطق بها، فإنّه ينبغي أن تتطابق الصورة اللفظية المنطوقة للمعاني مع صورتها في الذهن، وهنا يظهر دور الأداء بالسّكت ليسهم في بلورة معاني النحو وتشكيلها في الخطاب المنطوق، ولا شك في أنّ النحو هو الركيزة الأساسية التي ترتكز عليها المعاني في تشكيلها وبلورتها، و»من وظائف النحو الرئيسة –إن لم تكن

١- الإمام البغوي: شرح السنة، ١٣ / ٢٥٦، تح. شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣.

هذه وظيفته الرئيسة- أن يعيّن لنا ترابط أجزاء النصّ، وأنْ يحدد بأيّ كلمة أو جملة أو عبارة تتصل هذه الكلمة، أو هذه الجملة، أو هذه العبارة، داخل توالي أو تتابع وحدات النص»[١].

وممّا يبرهن على أهمية الأداء بالسّكت، ويُبيّن دوره الحيوي في العملية البيانية، أنّ المعنى أحياناً قد يغمض على السامع أو يلتبس عند أداء التراكيب المتداخلة دونما سكت بين حدود مقاطعها، وإن شئت فتأمل ما وقع فيه الكسائي (ت١٨٩هـ) من خلط في فهم المعنى النحوي وتوجيهه؛ بسبب غياب هذا النمط من الأداء، عندما «سأل اليزيديُّ الكسائيَّ بحضرة الرشيد، فقال: انظر، أفي هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

لا يكون العَيرُ مهراً   لا يكون المهرُ مهر

فقال الكسائي: قد أَقْوى الشاعر، فقال له اليزيدي: انظر فيه! فقال: أقوى؛ لابدّ أن ينصب (المهر) الثاني على أنه خبر لـ (يكون)، فضرب اليزيديّ بقلنسوته الأرض، وقال: أنا أبو محمد، الشعر صواب، إنّما ابتدأ فقال: «المهرُ مهرْ»[٢].

فمن الواضح في هذه الواقعة، أنّ اليزيدي كان بصدد الإيقاع بالكسائي في حضرة الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ لإثبات تفوّق علميّ ما، ومن ثَمّ أَلبس بأدائه دون السكت على الكسائي بناءَ البيت وإعرابه، مما جعل الكسائي يتوهّم أنّ فيه عيباً من عيوب القوافي هو: (الإقواء)[٣]؛ ومن ثم قال: «أقوَى»، يعني

١- د. عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة، ٢٦٢.

٢- السيوطي: الأشباه والنظائر، ٣/ ٢٤٥، تح. إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٦م. والخبر مذكور في ترجمة: علي بن حمزة الكسائي، في معجم الأدباء، لياقوت الحموي، انظره: ٤/ ١٧٤٢، تح. د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

٣- الإقواء: هو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة، انظر: الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص١٦٠، تح. الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

الشاعر؛ ذلك أنّ البيت كما فهمه الكسائي مبني على فتح حرف الروي (الراء) من كلمة (مهر)، باعتبار أنها خبر لـ(يكون)، والبيت الذي قبله مبني على ضم حرف الرَّوي (الراء) من كلمة (صقر) لأنها فاعل (نقّر)، وهو[١]:

مـــا رأَيْـــنـــا خَـــرَبـــاً نقَّـــر عـــنـــه الـــبـــيـــضَ صـــقـــر

ويبدو أنّ وسيلة (اليزيدي) للنيل من منافسه (الكسائي) كانت بأداء البيت دونما سكت بين مقاطعه المتداخلة، وإيهامه بأنّ عبارة (لا يكون المهرُ مهرْ) مبنية على جملة واحدة، من مضارع (كان) المنفية مع اسمها وخبرها، وهذا غير صحيح، لأنّ التركيب مكون من جملتين، أولاهما: جملة (لا يكون)، والأخرى: جملة (المهر مهر) الاستئنافية، وعلى هذا فإن (مهر) الثانية حقها الرفع، لا النصب، حيث يقول ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ): «رفعت-يعني مُهر الثانية- على أنها خبر لـ(مهر)، و (لا يكون) تأكيد للأولى، وقوله: (المهر مهر) كلام مستجد»[٢]، ولأن التفريق بين النمطين من التراكيب لا يكون إلا بأداء الأولى مفصولة بسكتة عن الثانية، حدث ما حدث ووقع الكسائي في حيلة اليزيدي، ولنا أن نتخيل كيف أدّى اليزيديُّ البيتَ بعد ذلك بالسّكت موضحاً طبيعته التركيبية، فضلاً عن إزالته اللبس الذي ألبس به على الكسائي وأوقعه فيه من قبل، وعندئذ يمكن القول بأنّ اليزيديّ أدّى البيت بأداء مختلف، من الممكن أن نتخيّله فيه أنّه يسكت على (لا يكون) الثانية بأداء تنغيمي صاعد، وبنبرة ضاغطة، مع مطٍّ صوتي للمد بالواو ربّما، إشعاراً بأنّها مرتبطة بما قبلها ومؤكدة له، وأنّ تعلقها بما قبلها من الكلام، لا بما بعدها، وهنا يتأكد لنا أثر السكت الجليّ في البيان، كما تتأكد ضرورة الأداء بالسّكت بين حدود التراكيب المتداخلة؛ لإبراز طبيعتها التركيبية، ولتجنيب السامع الخلط في فهم معانيها.

١- معجم الأدباء (سابق): ٤/ ١٧٤٢.

٢- ابن هشام الأنصاري: الألغاز النحوية، ٤٢، تح. موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، القاهرة، الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

والحقيقة أنّ السّكت لا ينشئ علاقات نحوية لا وجود لها[1]، وإنما يختار من العلاقات النحوية الكامنة ما يظهر بهذا الأداء، فمثلاً في قول جميل بثينة:

لا، لا أبــوح بـحـبِّ بُثـنـةَ إنّـهـا		أخـذت عليّ مواثقاً وعهوداً[2]

إذا أُدِّي هذا البيت دونما سكت بين (لا) الأولى و(لا) الثانية، كانت الثانية من قبيل التوكيد اللفظي للأولى، أما إذا سُكت بينهما، فإنّ السّكتة ستكون بمثابة تشكيل جديد للمعنى في هذا التركيب؛ تكون فيه (لا) الأولي من بقايا جملة مختزلة قائمة بذاتها، وتكون (لا) الثانية بداية لجملة أخرى مستأنفة، ولعل في هذا من البلاغة ما لا تجده مع الأداء بغير السّكت، حيث يقول د. أحمد مختار عمر: «فالشاعر يجيب عن سؤال وارد أساسه: هل تبوح بحب بثنة؟ فكان جوابه: لا، ثم سكت وبدأ في إعطاء تقرير جيد مؤدّاه: لا أبوح بحب بثنة، إنها أخذت عليّ مواثقاً وعهوداً. السّكت هنا أساس في هذا الفهم»[3]. ولا يخفى أنّ السّكت بعد (لا) الأولى على النحو المشار إليه هو أدخل في البلاغة، وأولى بالبيان.

أمّا السّكت قبل تمام المعنى المتصل فإنّه لا يمثّل بياناً، ولا يحقق إفهاماً، بل إنّه في بعض الأحيان قد يودي بالبيان، ويُؤَدِّي إلي اللبس في موطن الإفهام، وقد عاب النبي ﷺ على الخطيب الذي سكت بين الشرط والجواب في قوله: (من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما، فقد غوى)، قائلاً له ﷺ: «بئس الخطيب أنت»[4]؛ فقد نقل الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) عن بعض أهل العلم أنه ﷺ

١- ينظر: د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ٨٠.

٢- جميل بثينة: ديوانه، ٦٩، جمع وتحقيق وشرح: د. حسين نصار، دار مصر للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

٣- د. أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي، ٨٠.

٤- الحديث في صحيح مسلم، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه «أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: بئس الخطيب أنت، قل ومن يعص الله ورسوله»، وكثير من شراح الحديث على أن رسول الله ﷺ أنكر على الخطيب تشريكه في الضمير المقتضي للتسوية مع لفظ الجلالة، وأمره بالعطف تعظيماً لله تعالى بتقديم اسمه، وقد اختار الباحث التعليل القائم على ربط الإنكار بالأداء بترك السّكت، مدعوماً بما نقله في المتن عن بعض أهل العلم؛ =

«ذم الخطيب؛ لأنّه وقف على (يعصهما)، وسكت سكتة»[١]، وبهذا الأداء يلتبس المعنى، ويتساوى من يطع الله ورسوله مع من يعص الله ورسوله في الرشد، قال أبو جعفر الطحاوي (ت: ٣٢١هـ): «وإنما كان ينبغي له أن يقول: ومن يعصهما فقد غوى، أو يقف عند قوله: فقد رشد، ثم يبتدئ بقوله: ومن يعصهما فقد غوى...، وإذا كان ذلك مكروهاً في الخطب، وفي الكلام الذي يكلم به بعض الناس بعضاً، كان في كتاب الله عز وجل أشد كراهة»[٢]، ومن ثمّ يتبين أنّ السّكت المطلوب هو السّكت المفضي إلى حسن البيان، عندما تتداخل المعاني وتختلط الدلالات، أما السّكت في غير موضعه قبل اكتمال المعاني المتلاحمة، فإنه قد يفضي إلى سوء الفهم وعدم البيان.

ثانيا: السّكت والبلاغة

ارتبط مصطلح (البلاغة) منذ ظهوره بالدلالة على حسن الكلام، وتبليغه تمام مقصود المتكلم لدى السامع، فالبليغ هو من يصنع كلامه معبراً عمّا في صدره، فيبلغ به غايته من متلقِّيه بأيسر طريق وأحسن تعبير، وهذا المفهوم نابع من الدلالة اللغوية للفظ نفسه؛ حيث إن مادة (بلغ) في المعاجم العربية تدور على وصول الشيء إلى غايته ومنتهاه[٣]، ومن ثمّ سميت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنها «تنهى المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»[٤] كما يقول أبو هلال العسكري. وقد

= لما له من أثر في إبراز قيمة هذا النمط من الأداء. ينظر: صحيح مسلم: ٢/ ٥٩٤، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، وينظر: شرح السنة، للبغوي: ١٢/ ٣٦٠، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي: ٦/ ١٥٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

١- تفسير روح المعاني: ١٦/ ٢٠٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط، د.ت).

٢- الطحاوي: بيان مشكل الآثار، ٨/ ١١٤، تح. شعيب الأرنؤوط، دار النشر، بيروت، (د.ط، د.ت)، وكان الإمام الطحاوي قد علق على الحديث في باب عقده تحت عنوان: باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ مما يدل على أنه لا ينبغي للرجل في كلامه أن يقطعه إلا على ما يحسن قطعه عليه، ولا يحول به معناه عما تكلم به من أجله.

٣- ينظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة: (ب ل غ) ١/ ٣٠١.

٤- الجاحظ: البيان والتبيين، ١/ ٩١.

أضاف عبد الله بن المقفع إلى مفهوم البلاغة بعداً جديداً عندما أشار إلى عدة وجوه تجرى البلاغة فيها ومن خلالها، وذلك بعدما سئل: ما البلاغة؟ حيث قال: «البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون في هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى...»[١].

والبلاغة بمفهومها الاصطلاحي ترتبط بكل من طرفي العملية الاتصالية: المتكلم (المرسل)، والسامع (المستقبل) على حد سواء، حيث عرّف الخطيب القزويني بلاغة الكلام بأنها: «مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته»[٢]، ومن هنا ندرك أنّ البلاغة العربية تقوم على مراعاة طرفين هما: «الأول: هو المتلفظ بالخطاب البليغ، ويجب أن تتوافر فيه صفات معينة حتى يتمكن من التأثير في مخاطبه، وبلوغ المبلغ الذي يريد منه، والطرف الثاني: هو المتلقي للخطاب المبثوث في شكل رسالة سليمة وبليغة تضمن وصول قصد المتكلم ومراده إلى مخاطبه والتأثير فيه من خلال توظيف ما يناسب من أدوات اللغة وتراكيبها»[٣].

ومّما لا شك فيه أنّ البلاغة كما تتحقق بنظم الكلام وهيئات تراكيبه، من حذف وذكر، وتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، ووصل وفصل...إلخ، فإنها تتأكد بالكيفيات التي يُؤدى بها الكلام، من: هبوط، وارتفاع، ونغمة، وتلوين، وتزمين، وتوقف، وسكت...إلخ، وقد أعجبني كثيراً كلام العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، حيث قال في مقدمة تفسيره (التحرير والتنوير): «إنّ

١- العسكري: الصناعتين ٦.
٢- الإيضاح في علوم البلاغة: ١١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ط، د.ت).
٣- د. باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، منشور في مجلة (المختبر) أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد (٧) ٢٠١١م، ص ١٦٥.

بلاغة الكلام لا تنحصر في أحوال تراكيبه اللفظية، بل تتجاوز إلى الكيفيّات التي تؤدَّى بها تلك التراكيب؛ فإنّ سكوت المتكلم البليغ في جُمَلِه سكوتاً خفيفاً، قد يفيد من التشويق إلى ما يأتي بعده، ما يفيده إبهام بعض كلامه ثم تعقيبه ببيانه»[١]، وهذا كلام نفيس من عالم نحرير، وهو وثيق الصلة بمدار البحث وغايته.

والسّكت بين حدود الجمل المتعاقبة عند النطق بها يؤدّي دوراً حيوياً وفاعلاً في إدراك الأثر البلاغي لتراكيب تلك الجمل، فمثلاً في التراكيب المبنية على الاستئناف البياني، كقولك: (أحسنتَ إلى زيد، زيدٌ حقيق بالإحسان)[٢]، فإنّ السّكت على (زيد) في الجملة الأولى من شأنه أن يعزّز الأثر البلاغي للاستئناف من الترقّب والتشوق في نفس السامع؛ لكون الجملة الثانية (زيدٌ حقيق بالإحسان) بمثابة الجواب لسؤال اقتضته وأثارته الأولى.

وأحسب أن هذا النمط من الأداء له موقعه الجيد من البلاغة؛ ذلك أنّ المتكلم باستعماله لهذا الأسلوب القائم على الإيضاح بعد الإبهام، يعبّر عن متابعته لفكر المخاطب، ومراقبته لخلجات نفسه ووثبات حسّه، وإذا كان الخطيب القزويني قد أجمل سرّ بلاغة هذا الأسلوب في قوله: «وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار إليه إلا لجهات لطيفة؛ إما لتنبيه السامع على موقعه، أو لإغنائه عن أن يسأل، أو لئلا يُسمع منه شيء، أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه، أو للقصد إلى تكثير المعنى لتقليل اللفظ وهو تقدير السؤال وترك العاطفة، أو لغير ذلك مما ينخرط في هذا السلك»[٣]، فإنّ الباحث يرى أنه إذا سكت المؤدِّي بمثل هذا التركيب سكتةً خفيفةً بعد الجملة الأولى المكتنَفَة بشيء من الظلال والغموض، فإنّ هذا السكت من شأنه أن يُحدِث مزيداً من الإثارة والترقب والتطلّع في نفس السامع، حتى إذا

١- تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١١٧، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٢- من الأمثلة التي ذكرها الخطيب القزويني للاستئناف البياني، بإعادة اسم ما استؤنف عنه، راجع الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٥.
٣- الإيضاح في علوم البلاغة: ١٢٤.

جاءه الجواب في الجملة الآتية بعد سكتة معبرة، تمكّن في نفسه أيّما تمكّن، وأداء التراكيب المبنية على (الاستئناف البياني) دونما سكت بين جملة الاستئناف وبين التي قبلها، قد يَذهب ببريق البلاغة ويريق ماءها، ويضعف الأثر البلاغي لتلك التراكيب لدى السامع.

ونلحظ في معظم الأبيات الشعرية المبنية على الاستئناف البياني، أنّ جملة الاستئناف تأتي في بداية الشطر الثاني من البيت، وهذا بدوره يؤدي إلى سكتة طبيعية على حدود الجملة الأولى المقتضية للسؤال في نهاية الشطر الأول، تقتضيها طبيعة أداء الشعر، أو تأتي جملة الاستئناف في بداية البيت اللاحق بعد سكتة طبيعية أيضاً على نهاية البيت السابق، وهذه السكتة وإن كان يقتضيها أداء الشعر، إلا أنها مما يزيد من فعالية الأثر البلاغي لهذا النمط من التراكيب، فمثلاً في قول المتنبي:

وما عَفَتْ الرياح له مَحَلاًّ   عفاهُ من حدا بهم وسَاقا[1]

بُني البيت على الاستئناف البياني في شطره الثاني، ذلك أنّ الشاعر عندما قال: (وما عفت الرياح له محلا) كان مظنة أن يسأله سائل عن الفاعل فأردف قائلاً: (عفاهُ من حدا بهم وسَاقا)، ويزعم الباحث أنّ السكتة الطبيعية بين شطري البيت لها دور كبير في تحقيق الأثر النفسي للاستئناف، وفي إدراك قيمته البلاغية المتمثلة في التشويق، وجذب انتباه المتلقي لتمام الكلام بعد السكتة، والتشويق من الأغراض البلاغية التي لها دورها في الإمتاع والتأثير في آنٍ، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ): «ومن المركوز في الطبع أنّ الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نَيلُهُ أحلى، وبالميزة أولى،

١- المتنبي: ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري: ٢ / ٢٩٤، ضبطه: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د.ط، د.ت)، يقول: لا ذنب للرياح لأنها لم تدرسه، ولم تغير منازله، وإنما عفاه الحادي، فالذنب للحداه. والبيت من شواهد الإيضاح: ص١٢٦.

فكان موقعه في النفس أجلّ وألطف»[١].

ومن أمثلة مجيء جملة الاستئناف في بداية البيت اللاحق، قول الشاعر[٢]:

اعْتادَ قلبُك من ليلى عوائدَه وهاجَ أهواءَك المكنونةَ الطَّلَلُ

رَبْعٌ قواءٌ أذاعَ المعصراتُ به وكلُّ حيران سارٍ ماؤُه خَضلُ

فلما ذكر الشاعر في البيت الأول أنّ الطلل قد هاج أهواءه المكنونة، أدرك تشوق نفس السامع إلى معرفة خبر هذا الطلل وصفته، فاستأنف حديثًا عنه في البيت التالي، وبنى الكلام على حذف صدر الاستئناف وهو المسند إليه، فقال: (ربع قواء أذاع المعصرات به)، ونظيره كثير في بناء الشعر، من ما يقطع فيه الشعراء كلامهم ويستأنفون معاني أخرى مبنية على حذف صدر الاستفهام.

وهذه الصورة من صور بناء التراكيب في الشعر العربي أشار إليها الإمام عبد القاهر، حيث قال: «ومن المواضع التى يطّرد فيها حذف المبتدأ (القطع والاستئناف)، يبدأون بذكر الرجُل، ويقدّمون بعض أمره، ثم يدَعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ»[٣]، واستشهد عبد القاهر لهذه الصورة من صور الحذف بشواهد عدة، وذكر أنّ لها من اللطف والظرف الكثير، حتى صار الحذف فيها قلادة الجيد، وقاعدة التجويد[٤]، كما أشار الإمام إلى أن حذف المبتدأ فى هذا الموضع أجمل ماتراه فى ذكر الديار، وفى مقام المدح[٥]، وعلّل لذلك الدكتور محمد أبو موسى

١- الجرجاني: أسرار البلاغة: ١١٨، تح. محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٥٩م.
٢- البيتان من شواهد دلائل الإعجاز: ١٤٦. قال الشيخ شاكر في التحقيق: نسبهما البغدادي لعمر بن أبي ربيعة، وليسا في ديوانه.
٣- الجرجاني: دلائل الإعجاز، ١٤٧.
٤- ينظر: السابق ١٥١.
٥- ينظر:السابق: ١٤٧.

بأنّ حذف المبتدأ في هذا الموضع مردُّه إلى امتلاء النفس، وشدة التأثر بالمعنى[١].

ويرى الباحث أنّ هذا النمط من البناء التركيبي من شأنه أن يستقطب المتلقي، ويلفت انتباهه، ويثير في نفسه التشوق والتطلع إلى متابعة تلك الأخبار المتلاحقة الدائرة على المسند إليه المقدّم، مع تكثيف الصورة الواصفة أو المادحة، أو القادحة، ويكتمل هذا الأثر البلاغي بالأداء بالسكت بين نهاية البيت الأول وبين بداية الثاني، بما من شأنه أن يدعم الأثر النفسي والبلاغي للاستئناف البياني.

وقد أشار الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن السكوت أو (الوقف) بمعناه العام يُحدث الأثرَ البلاغي نفسَه الذي يُحدثه الاستئناف البياني، وإن لم تكن التراكيب مبنية على شبه كمال الاتصال، حيث قال: «فإذا كان من مواقع البلاغة نحو الإتيان بلفظ الاستئناف البياني، فإن السكوت عند كلمة وتعقيبها بما بعدها، يجعل ما بعدها بمنزلة الاستئناف البياني، وإن لم يكنه عينه، مثاله قوله تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[٢]، فإن الوقف على قوله (موسى)، يحدث في نفس السامع ترقبًّا لما يبين حديث موسى، فإذا جاء بعده (إذ ناداه ربه إلخ)، حصل البيان»[٣]. ومن الجدير بالذكر أنّ الشيخ الطاهر بن عاشور كان يعتمد كثيراً على الوقف بمعناه العام في التوجيه البلاغي للتراكيب القرآنية، فمثلاً، يذكر الشيخ في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[٤] أنك «إنْ وقفت على كلمة (رَيْبَ)، كان من قبيل إيجاز الحذف، أي: لا ريب في أنّه الكتاب، فكانت جملة (فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) ابتداء كلام، وكان مفاد حرف (في) استنزال طائر المعاندين، أي: إن لم يكن كله هدى فإن فيه هدى، وإن وصلت

١- ينظر: خصائص التراكيب: ١٦٤، نشر مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٢- سورة النازعات: الآيتان ١٥، ١٦.
٣- تفسير التحرير والتنوير: ١/ ١١٧.
٤- سورة البقرة: الآية ٢.

(فِيهِ) كان من قبيل الإطناب، وكان ما بعده مفيداً أن هذا الكتاب كله هدى»[١]، وبوجه عام، فإنّ المتتبع للتوجيهات البلاغية لدى أصحاب مدرسة التفسير البياني للقرآن الكريم، يدرك مدى أهميّة الوقفات والسكتات في تشكيل الجمل والتفريق بين أنماطها.

ومن جانب آخر، يدرك البلاغيون في بحث العلاقات بين الجمل أنّ ثمّة تبايناً في طبيعة الدلالة بين الجملتين: الخبرية والإنشائية، هذا التباين يجعل العلاقة بين الجملتين منقطعة تماماً، ومن ثمّ يقولون بأنّه لا مسّوغ للعطف بينهما بالواو؛ «لأن العطف بالواو يقتضي كمال المناسبة بينهما، والمناسبة تنافي كمال الانقطاع»[٢]، وسواء أكان التباين لفظاً ومعنى، أم كان معنى فقط، فلا مسوغ لعطف إحداهما على الأخرى؛ لأنّ البون الشاسع بين دلالة الخبرية ودلالة الإنشائية يحول دون اشتراكهما في الحكم عند الجمع بينهما بالواو، وفي صورة من صور التراكيب المختزلة، يؤدي التجاور بين الجملتين: الخبرية والإنشائية إلى تداخل نصي، قد يفضى أحياناً إلى معنى مناقض لما يريده المتكلم، وتتحقق هذه الصورة عندما تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، ويكون الفصل بينهما بترك العاطف موهماً لخلاف المقصود، وهو ما يعرف بلاغياً بالفصل لكمال الانقطاع مع الإيهام[٣]، ومنه قولهم في المحاورات عند قصد النفي لشيء تقدم مع الدعاء للمخاطب بالتأييد: (لا أيّدك الله)، فقولهم: (لا)، نفي لمضمون كلام مخبر به، أو مسؤول عنه، كأن يقال: أنت أسأت إلى فلان، فيقال: لا، أي ما أسأت إليه، ويقال: هل الأمر كما زعم فلان؟ فيقال: لا، أي ليس الأمر كما زعم. وقولهم: (أيدك الله)، جملة إنشائية معنى؛ لأن فحواها الدعاء للمخاطب، فلو أدى المتكلم الجملتين هكذا (لا أيدك

١- تفسير التحرير والتنوير: ١ / ١١٧.
٢- حاشية الدسوقي على شرح السعد ضمن شروح التلخيص: ٣ / ٦٧.
٣- ينظر: الشيخ عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، ٢ / ٧٣، مكتبة الآداب - القاهرة - ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

الله) دونما تمييز بين حدود الخبرية المنفية منهما (لا)، والإنشائية معنى (أيدك الله)، لتُوُهّم عكس ما يريده المخاطب؛ لأن النفي بـ (لا) متصلاً بجملة الدعاء الإنشائية (الخبرية شكلاً) يوهم نفيها، ومن ثم يكون نفي التأييد دعاءً على المخاطب لا دعاءً له، وهنا لا بد من الوصل بالواو (لا وأيدك الله)، أو يكون الأداء بالسّكت بين (لا) و (أيّدك الله) هو السبيل لتحقيق البيان في هذا النمط من التراكيب.

ولأنّ مدار أمر البلاغة على البيان وحسن الإفهام، ألحق بعض الدارسين كمال الاتصال بكمال الانقطاع مع الإيهام في دفع الإيهام بالواو، أو بطريق الأداء بالسّكت؛ حيث يقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٨٦هـ): «وقيل: إنه يأتي في كمال الاتصال أيضاً عند ذلك الإيهام، كما تقول لمن سألك: هل تشرب خمراً؟ لا، وتركت شربه، وقيل: إنه يتعين الفصل في مثل هذا، ويدفع الإيهام بطريق آخر فيقال مثلاً: لا، قد تركت شربه، أو يسكت قليلاً بعد (لا)»[١].

وممّا هو متصل بدور السّكت في الإدراك البلاغي أداء الجناس التام المركّب، حيث يتّفق اللفظان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيآتها، وترتيبها، مع كون أحد اللفظين مركباً[٢]، ففي أداء هذا النوع من الجناس، لا بد من التمييز صوتياً بالسّكت بين المجانس المكون من كلمة واحدة، والآخر ذي البنية المتعددة، يقول د. أحمد كشك: «إنّ البلاغيين قد تصوروا فيما درسناه من نماذج الجناس أن هناك اتفاقاً لفظياً تاماً، في الموقف الذي يؤكدون فيه وجود خلاف في المعنى، ولو سألوا أنفسهم: ما الذي أظهر ذلك الخلاف في المعنى؟ لكان من الطبيعي أن يُرَدّ أمره إلى أن هناك قيماً صوتية في التركيب يعرف المعنى على أساسها، ولو لم يكن هناك من وجود لهذه القيم الصوتية لحدث ما تخشاه اللغة، وترفضه عملية

١- السابق: نفسه.
٢- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني: ٣٩٣.

الكلام، وهو اللبس والغموض»[١]، فمثلاً، في المثال الشهير الذي يستشهد به البلاغيون للجناس التام وهو:

عَضّنا الدَّهْرُ بِنَابه لَيْتَ مَا حَلَّ بِنا، بِه[٢]

إذا أُدّي البيتُ دونما سكتة خفيفة بين (بنا)، و(به) في شطره الثاني، فإنّ من الصعب أن يدرك السامع معناه لأول وهلة، وهذه السّكتة كفيلة بتحقيق فهم معنى البيت لدى السامع، إضافة إلى تنبيهه على إدراك القيمة البلاغية لهذا اللون من البديع؛ حيث يتحقق لدى السامع «حسن الإفادة، مع أنّ الصورة صورة الإعادة»[٣].

والحقيقة أنّ الدراسات البلاغية لو كانت قد ارتكزت على الخطاب المنطوق بقدر ارتكازها على النصّ المقروء في إدراك الأثر البلاغي، لكان نتاجها أكثر إسهاماً في تحقيق الوظيفة التواصلية للغة العربية، ولعلّ البلاغيين معذورون في ذلك بأنّ الدرس الصوتي العربي لم يساعدهم كثيراً في تأسيس نظريات صوتية متكاملة يمكن الانطلاق منها نحو درس بياني لساني، يُنظر للأداء البليغ ويوجهه، وهذا يؤكد على ضرورة التحاقل والتكامل بين فروع الدرس اللغوي العربي؛ لأنّ الدرس اللغوي كما يقول د. أحمد كشك: «لا يُفهم جزؤه دون وعي كامل بكل أبعاد هذا الدرس، ومن هنا حُق له وهو في نطاق صرفي أن يجعل الصوت هادياً له، وحق له في نطاق النحو أن يوجّه قيم الأصوات توجيهاً مفسراً، وحق له أنْ يستخدم المعطيات السابقة كلها في سبيل فهم لفرع من فروع القول، هو فرع البلاغة العربي»[٤].

١- من وظائف الصوت اللغوي: ١٣١، ١٣٢.
٢- البيت في خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي: ١ / ٥٩، شرح: عصام شعيتو، ط. دار ومكتبة الهلال -بيروت -الأولى: ١٩٨٠ م.
٣- الإيضاح، للقزويني: ٣٩٥.
٤- من وظائف الصوت اللغوي: ٣.

المبحث الثالث: بلاغة السّكت في الأداء القرآني

يمثّل (السّكت) نمطاً خاصاً من أنماط الأداء القرآني لدى بعض القراء؛ فأبو جعفر المدنيّ (ت: ١٢٧هـ) يسكت على كل حرف من حروف الهجاء الواردة في فواتح السور، نحو: (الم، الر، المر، كهيعص، طه، طس)، ويلزم من سكته على هذه الحروف المقطعة، إظهار المدغم والمخفي منها، وقطع همزة الوصل بعدها[١]، والغرض من السّكت على هذا النحو كما قال ابن الجزري: «ليبين بهذا السّكت أن الحروف كلها ليست للمعاني كالأدوات للأسماء والأفعال، بل هي مفصولة وإن اتّصل رسماً، وليست بمؤتلفة، وفي كل واحد منها سر من أسرار الله تعالى الذي استأثر الله بعلمه»[٢]، فالسّكت لهذا الغرض، مردّه إلى تمييز نوعي بين حروف المعاني التي تعرفها العربية، وبين الحروف الافتتاحية ذات الطابع الخاص التي بدأت بها بعض سور القرآن الكريم، كما يلفت السّكت أيضاً إلى الأسرار البلاغية الخبيئة وراء تلك الحروف، مما لا يعلم كنهه إلا علام الغيوب، والسّكت بهذا الأداء يحقق قيمة بلاغية جيدة، هي التنبيه وجذب الأسماع، حتى يتحقق الإصغاء.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ مناط البحث ههنا هو سكتات الإمام حفص بن سليمان (ت: ١٨٠هـ)؛ لأنّ ثمّة لطائف بلاغية متنوعة في كلّ موضع منها، ويسكت حفص في أربعة مواضع من الذكر الحكيم، هي[٣]:

١- على الألف المبدلة من التنوين في ﴿عِوَجَا﴾، من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا ...﴾[٤].

١- ينظر: ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، ١ / ٤٢٦.
٢- السابق: نفسه.
٣- ينظر: السابق: ١ / ٢٦٢.
٤- سورة الكهف: الآية ١، وبعض الآية ٢.

٢- وعلى ألف ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ من قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[1].

٣- وعلى نون ﴿مَنۡۜ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾[2] في سورة القيامة.

٤- وعلى لام ﴿بَلۡۜ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[3] في سورة المطففين.

والغرض الظاهر من سكت حفص في هذه المواضع الأربعة من القرآن الكريم مردّه إلى تحقيق البيان، والحرص على جودة الإفهام، بنفي ما يُتوهم فهمه عند الأداء بغير السّكت، حيث يقول شيخ زادة (ت: ٩٥١هـ): «اعلم أنّ حفصاً وقف على تنوين ﴿عِوَجَاۜ﴾، مبدلاً ألفه بسكتة لطيفة من غير قطع نفس، إشعاراً بأنّ ﴿قَيِّمٗا﴾ ليس متصلا بـ﴿عِوَجَاۜ﴾، وإنما هو من صفة الكتاب....، ويقف على ﴿مَّرۡقَدِنَاۜ﴾، ويبتدئ بقوله ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ ليفهم من الوقف أنّ كلام الكفار قد انقضى، وأنّ ما بعده كلام غيرهم، قيل: هم الملائكة، وقيل: المؤمنون، ومنها: أنّه يقف على ﴿مَنۡۜ﴾ في قوله: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾، ويبتدئ بـ﴿رَاقٖ﴾؛ لئلا يتوهم أنها كلمة واحدة على فعّال، اسم مبني للمبالغة من مرَق، يمرُق، فهو مرّاق، ومنها: أنّه يقف على لام ﴿بَلۡۜ﴾ في قوله تعالى ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ ويبتدئ بـ﴿رَانَ﴾ لما تقدم»[4].

لكن الذي يلفت إليه البحث هو أنّ السكت في هذه المواضع الأربعة وإن كان مردُّه إلى تحقيق البيان فإنّ ثمة بعض اللطائف البلاغية التي يمكن أن يتلمّسها

١- سورة يس: الآية ٥٢.
٢- سورة القيامة: الآية ٢٧.
٣- سورة المطففين: الآية ١٤.
٤- حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي: ٣/ ٢٤٧، ٢٤٨، ط. مكتبة الحقيقة - استانبول - تركيا - ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الباحث من خلال الأداء بالسّكت في هذه المواضع؛ لا سيما إذا عرفنا أنّ السّكت فيها رهين الرواية والنقل والسماع؛ حيث يقول ابن الجزري «الصحيح أنّ السّكت مقيّد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحت الرواية به لمعنى مقصود بذاته»[1]، ومن ثمّ أقول، وبالله التوفيق:

أمّا السّكت على الألف المبدلة من التنوين في (عوجا)، من قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا ...﴾، فإنّ فيه من بلاغة التوكيد بالتكرير ما يقطع الطريق على أي مدّع يشكك في استقامة الكتاب الكريم، أو يرتاب في قوامته، فقد نفى الله عَزَّ وَجَلَّ عن القرآن العوج أولاً في قوله (وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا)، وجاءت صياغة ﴿عِوَجَا ۜ﴾ منّكرة في سياق النفي؛ لتفيد العموم، «أي: شيئاً من العوج، بنوع اختلال في النظم، وتنافٍ في المعنى، أو انحراف عن الدعوة إلى الحق»[2]، ونفي العوج عن كتاب الله يثبت له الاستقامة ضمناً، ثمّ يأتي قوله ﴿قَيِّمًا﴾ ليثبت الاستقامة للكتاب الكريم صراحة ونصاً، فكأنّ معنى الاستقامة أثبت للقرآن الكريم مكررًا، مرة بالنفي، وأخرى بالإثبات، «وإنما جنح إلى التكرير لفائدة منقطعة النظير، وهي التأكيد والبيان، فرُبّ مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته، ومع ذلك فإنّ الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى»[3]، ومعنى قيماً، أي: «بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد...، فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال، أو على ما قبله من الكتب السماوية، شاهداً بصحتها، ومهيمناً عليها، أو متناهياً في الاستقامة»[4].

١- النشر في القراءات العشر: ١/ ٢٤٣.
٢- أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٣/ ٤٩١، تح. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض (د.ت)
٣- محيى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، م٤، ج١٥، ص٤٣٨، اليمامة للطباعة والنشر، ودار ابن كثير، دمشق، وبيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٤- تفسير أبي السعود: ٣/ ٤٩٢.

وعلى الرغم من أنّ ﴿عِوَجَاۜ﴾ رأس آية، والوقوف على رؤوس الآيات في القرآن الكريم جائز، بل مستحب، إلا أنّ الأداء بالسّكت في قراءة حفص على ﴿عِوَجَاۜ﴾، من شأنه أنْ يلفت الآذان والأذهان إلى شيء مميز في بناء التركيب، حيث يقول الزمخشري: «فإن قلتَ: بم انتصب ﴿قَيِّمًا﴾؟ قلتُ: الأحسن أنْ ينتصب بمضمر، ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأنّ قوله ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل﴾ معطوف على ﴿أَنزَلَ﴾، فهو داخل في حيّز الصّلة، فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوجاً، جعله قيماً؛ لأنّه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة، فإن قلتَ: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلتُ: فائدته التأكيد»[١]، والأداء بالسّكت في ﴿وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا ...﴾ هو الذي يوجّه إلى أنّ ﴿قَيِّمًا﴾ ليس متصلاً بـ ﴿عِوَجَاۜ﴾، وإنما هو من صفة لـ(الْكِتَابَ).

وأمّا السّكت على ألف ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾ من قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾، فإنّه يضع حداً فاصلاً بين كلام الكفار المنقضي بـ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾، وبين كلام غيرهم من المؤمنين أو الملائكة، على رأي من يجعل «﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره، وما مصدرية أو موصولة»[٢]، «وقيل: إنّ ﴿هَٰذَا﴾ صفة لـ﴿مَّرۡقَدِنَا﴾، و ﴿مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأ محذوف الخبر»[٣]، وعلى هذا التوجيه يكون للأداء بالسّكت دور آخر في تصوير سرعة إفاقة الكافرين بعد تعجبهم ودهشتهم من رؤية النشور، فكأنهم من فرط ذهولهم ودهشتهم سألوا: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ﴾، «ثمّ لم يلبثوا أن استحضرت نفوسهم ما كانوا ينذرون به في الدنيا، فاستأنفوا عن تعجبهم قولهم ﴿هَٰذَا مَا

١- الكشاف: ٣/ ٥٦٤.
٢- السابق: ٥/ ١٨٢.
٣- ابن جزي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٢٢٦، ط. دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾، وهذا الكلام خبر مستعمل في لازم الفائدة، وهو أنهم علموا سبب ما تعجبوا منه، فبطل العجب، فيجوز أن يكونوا يقولون ذلك كما يتكلم المتحسر بينه وبين نفسه، وأنْ يقوله بعضهم لبعض، كلٌّ يظن أنّ صاحبه لم يتفطن للسبب، فيريد أن يعلِمه به»[1]، ولا يخفى دور الأداء بالسّكت في تصوير سرعة الإفاقة بعد الذهول، ولو تخيلنا وضع الأيدي على الجباه عندما يقول الكافرون ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ﴾ لأدركنا القيمة التصويرية الرائعة للأداء بالسكت في هذا الموضع.

وأمّا سكت حفص على ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ﴾، فبالإضافة إلى ما فيه من نفي الوهم الفاسد من تصور ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾كلمة واحدة (مرّاق)، يرى الباحث أنّ ثمة ملمحاً بلاغياً يمكن تلمّسه بالفيء إلى ظلال النص القرآني، فالمشهد في سورة القيامة يصوّر حالة الضعف الإنساني ساعة الاحتضار، وفي هذا المشهد يبدو الجسد الإنساني ساكناً خائراً بعد طول حراك، وفي هذا الجو المهيب يصور القرآن الكريم ببراعته تلك الغصّة في حلوق الحاضرين، والدهشة في منطقهم، فالسّكت على ﴿مَنۡۜ﴾ في الآية يوحي بدهشة وروع رفيق المحتضر، حتى كأنه من روع ما يشاهد يغصّ حلقه بكلمات الإسعاف، فلا تخرج تلك الكلمات إلا متقطعة متحشرجة ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾، والموقف الداعي إلى الذهول لا يحتمل مزيداً من الكلمات والعبارات، فكانت الصياغة القرآنية ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ بأسلوب استفهامي مشوب باللهفة والدهشة في آن، «فالقرآن في الآية يريد أن يصوّر مشهد الاحتضار وكأنه ماثل حاضر، فيجعله يخرج من ثنايا الألفاظ، ويتلامح من خلال الصورة، ويبرز شاخصاً بصمت يشعر الإنسان بالغصّة، بل يجدها في حلقه، والغصّة عقبة أمام الصوت، أو حائل أمام الروح، ولكي يتحرك المشهد وينطق بأبعاده كلها، كان لا بدّ من لحظة صمت، (وقفة أو

١- ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: ٢٣ / ٣٨.

سكتة) توحي بما يريد القرآن أن يخلقه في روع المتلقي من شعور يكاد ينتابه عند قراءة الآية ويحسّه في حلقه»[١].

والسّكت على لام ﴿ بَلْ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ في سورة المطففين، فهو وإنْ كان فيه من البيان أنْ لا تدغم لام ﴿ بَلْ ﴾ في راء ﴿ رَانَ ﴾ فيوهم النطق بها إذ ذاك أنّ الكلمة مثنى (برّان)، فلعلّ فيه من البلاغة ما يلفت إلى عجيب صنع الذنب في توجيه القلب والسيطرة على أرجائه، ذلك أنّ ﴿ بَلْ ﴾المسكوت عليها في الآية تبطل قول المكذبين في القرآن الكريم بأنّه أساطير الأولين، وتعلّل لتوجههم إلى القول بذلك بما اقترفوه من المعاصي والذنوب، حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٢]، وكأنّ السّكت على ﴿ بَلْ ﴾ يلفت انتباه سامع القرآن إلى الأثر العظيم الذي تحدثه الذنوب والمعاصي في توجيه العاصي قولاً وفعلاً، يقول أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ): «بَلْ رَانَ: بيان لما أدّى بهم إلى التفوّه بتلك العظيمة، أي: ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة، بل ركّب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي، حتى صارت كالصدأ في المرآة، فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق»[٣].

أمّا عن كيفية الأداء بالسّكت في الأداء القرآني، فالضابط في ذلك أمران، أحدهما: أنّ السّكت زمنه أقل من زمن الوقف، وهذا أمر تقديري ونسبي، حتى إنّ أئمة الأداء اختلفوا فيه طولاً وقصراً، وجاءت عباراتهم في وصفه متفاوتة على النحو الآتي[٤]: (سكتة يسيرة)، (سكتة قصيرة)، (سكتة مختلسة من غير

١- د. مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، ١٣٣.
٢- سورة المطففين: الآيات ١٠: ١٤.
٣- تفسير أبي السعود: ٥ / ٤٩٨.
٤- ينظر: النشر في القراءات العشر: ١ / ٢٤٣.

إشباع)، (وقفة يسيرة)، (وقفة خفيفة)، (وقيفة)، (تسكت حتى يظن أنك قد نسيت ما بعد الحرف)، والثاني: أنّ الأداء به لا يصحبه تنفس، وهذا أيضاً مختلف فيه، فمنهم من يحمله على ظاهره، ومنهم من يرى أنه إشارة إلى عدم الإطالة في الفصل، أو دون مهلة، واختار ابن الجزري أن تكون (دون) بمعنى (من غير)، موافقاً بذلك ما أجمع عليه أهل الأداء من المحققين من أن (السّكت) لا يكون فيه تنفس، سواء قل زمنه أو كثر[1].

وعموماً، فإنّ هذا النمط وغيره من الأداء القرآني يثبت بما لا يدع مجالاً للشك معرفة الأقدمين بالقيم الصوتية الأدائية (التنغيمية)، ولو كان المشتغلون بالدراسات اللغوية العربية انطلقوا من معطيات علم الأداء والتجويد نحو تكوين نظريات لسانية متكاملة، لكان لنا السبق في تأسيس علم لساني عربي خالص، مثلما كان لنا السبق في تأسيس غيره من علوم اللغة.

١- ينظر: السابق، نفسه.

الخاتمة

من خلال المحاور التي تمت مناقشتها، يرصُد البحث هنا ما انتهى إليه من نتائج على النحو الآتي:

١- أنّ الأداء عبارة عن ممارسة النطق باللغة بطريقة معبّرة، في مواقف اتّصالية، ضمن سياق معيّن، وأداء الخطاب المنطوق فنّ له أهميته في التواصل، وفي تذوّق التعابير وإدراك قيمتها وأسرارها البلاغية.

٢- أنّ (السّكت) نوع من أنواع الوقف بين أجزاء الكلام المنطوق المتتابع، إلا أنّ الوقف يحسن الابتداء بما بعده، أمّا السّكت فإنّه وإن كان فاصلًا صوتيًّا إلا أنّ ما قبله متصّل بما بعده، والفرق بينه وبين الوقف في الأداء لطيفٌ جداً، والمعوّل عليه في التفريق بين (السّكت) و(الوقف) هو التنغيم المصاحب للأداء بالسكت، الذي يُشعر بارتباط لاحق الكلام بسابقه ارتباطاً شديداً، فالسكتة لا تعني إلا مجرد تغيير مسيرة النطق بتغيير نغماته، وتكون مصحوبة بنغمة صاعدة دليلًا على عدم تمام الكلام.

٣- من خلال مناقشة الرأي القائل بأنّ الفكر العربيّ المصنّف لم يلتفت إلى دور (التنغيم) في اللغة العربية، أثبت البحث أنّ الأداء بالسكت كان معروفاً على مستوى التنظير اللغوي العربي؛ لكونه مصطلحًا له مفهوم محدد في علم الأداء والتجويد القرآني، كما أنه كان معروفاً في الواقع اللغوي العربي التداولي تطبيقاً واستعمالاً، وذلك من خلال النصوص التي تضمّنتها بعض الدراسات البيانية التراثية، والتي أشارت إلى أهمية الفصل بين مقاطع الكلام وحدوده في جودة الإفهام وحسن البيان، إلا أنّ تلك الإشارات كان ينقصها ضربة بمعولٍ آخرة حتى تتفجر ينابيعها.

٤- أبرز البحث حيوية السّكت وفعاليته في الإفهام والبيان، وفي تشكيل المعاني وبلورتها، وفي فض الاشتباك بين حدود التراكيب المتداخلة، فإذا كانت المعاني تتشكل في الذهن أولاً، ثم تظهر في صورة لفظية عند النطق بها، فإنّه ينبغي أن تتطابق الصورة اللفظية المنطوقة للمعاني مع صورتها في الذهن، أمّا السّكت قبل تمام المعنى المتصل فإنّه قد يودِي بالبيان، ويُؤَدِّي إلي اللبس في موطن الإفهام.

٥- أكّد البحث على أنّ البلاغة كما تتحقق بنظم الكلام وهيئات تراكيبه، من حذف وذكر، وتقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، ووصل وفصل...إلخ، فإنها تتأكد بالكيفيات التي يُؤدّى بها الكلام، والسّكت بين حدود الجمل المتعاقبة عند النطق بها يؤدّي دوراً حيوياً وفاعلاً في إدراك الأثر البلاغي لها، كالتراكيب المبنية على الاستئناف البياني، وكذلك المبنية على ما يعرف بلاغياً بالفصل لكمال الانقطاع مع الإيهام، وكذلك الجناس التام المركّب، وتتمثل القيمة البلاغية لهذا الأداء في التشويق، وجذب انتباه المتلقي لتمام الكلام بعد السكتة، وتحقيق الإمتاع والتأثير في آنٍ.

٦- أنّ السّكت في القرآن الكريم يمثل نمطاً خاصاً من أنماط الأداء القرآني لدى بعض القراء؛ وهو وإن كان مردُّه إلى تحقيق البيان في الظاهر، فإنّ ثمة لطائف بلاغية تلمّسها الباحث من خلاله، فسكت أبي جعفر على الحروف المقطعة يؤدي إلى التنبيه، وجذب الأسماع للإصغاء، والتعجيب من نمطها العجيب، وسكت حفص على الألف المبدلة من التنوين في (عوجا) فيه من بلاغة التوكيد بالتكرير ما يقطع الطريق على أي مدّع يشكك في استقامة الكتاب الكريم، أو يرتاب في قوامته، والسّكت على ألف (مَرْقَدِنَا) فيه تصوير لسرعة إفاقة الكافرين بعد تعجبهم ودهشتهم من رؤية النشور،

والسّكت في سورة القيامة يصوّر حالة الضعف الإنساني ساعة الاحتضار، بتركيز المشهد على الغصّة التي بدت في حلوق الحاضرين من خلال تصوير منطقهم، أمّا السّكت على (بَلْ) في المطففين فإنه يلفت إلى الأثر العظيم الذي تحدثه الذنوب والمعاصي في توجيه العاصي قولاً وفعلاً. والبحث في مجمله يثبت أنّ الأداء بالسّكت في الخطاب المنطوق له دوره البارز في تحقيق الوظائف الاتصالية والتأثيرية للغة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، جلّ من أنزله.
- الآلوسي (شهاب الدين السيد محمود، ت: ١٢٧٠هـ): تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط، د.ت).
- أحمد كشك: من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧.
- أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م.
- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد، ت: ٣٧٠هـ): تهذيب اللغة، تح: علي حسن هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت).
- باديس لهويمل: التداولية والبلاغة العربية، منشور في مجلة (المختبر) أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد (٧) ٢٠١١م.
- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تح. د. رمضان عبد التواب، ط. السماح، القاهرة، ١٩٢٩م.
- البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود، ت: ٥١٦هـ): شرح السنة، تح. شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، وبيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣.
- التبريزي (أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن الشيباني، ت: ٥٠٢هـ)، الكافي في العروض والقوافي، تح. الحساني حسن عبد الله، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى، ت: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تح. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط) ١٩٩٨م.
- تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،ط١،١٩٧٩.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر، ت: ٢٥٥هـ): البيان والتبيين، تح. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٧٨م.

- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ت: ٤٧١ هـ): أسرار البلاغة، تح. محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٥٩م.
- الجرجاني (السابق): دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، المدني بالقاهرة، وجدة، ط٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد، ت: ٨٣٣هـ): النشر في القراءات العشر، راجعه: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
- ابن جزي الكلبي (أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي، ت: ٧٤١هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- حسام البهنساوي: الدراسات الصوتية عند العلماء العرب والدرس الصوتي الحديث، نشر زهراء الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- حسام سعيد النعيمي: أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- حمدان رضوان أبو عاصي: الأداءات المصاحبة للكلام وأثرها في المعنى، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٩م.
- الدسوقي (محمد بن عرفة الدسوقي، ت: ١٢٣٠هـ): حاشية الدسوقي على شرح السعد، ضمن شروح التلخيص، مؤسسة دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ودار الهادي، بيروت، ط٤، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد ت: ٥٠٢ه): المفردات في غريب القرآن، تح. محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت (د. ت)
- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تح. مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ضمن سلسلة التراث العربي (١٦)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر، ت: ٥٣٨هـ): الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح. عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

- السخاوي (أبو الحسن علم الدين علي بن محمد، ت: ٦٤٣هـ): جمال القراء وكمال الإقراء، تح. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- أبو السعود (محمد بن محمد بن مصطفى، ت: ٩٨٢هـ): تفسيره المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح. عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت).
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: ٩١١هـ): الأشباه والنظائر، تح. إبراهيم محمد عبد الله، منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٩٨٦م.
- شيخ زاده (محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي، ت: ٩٥١هـ)، حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا (د.ط) ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- الطحاوي (أبو جعفر أحمد بن محمد الأزدي، ت: ٣٢١هـ): بيان مشكل الآثار، تح. شعيب الأرنؤوط، دار النشر، بيروت (د.ط، د.ت).
- ابن عاشور (محمد الطاهر، ت: ١٣٩٣هـ): تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- عبد الحميد حسن: فن الإلقاء، دار نشر الثقافة – الإسكندرية (د.ط، د.ت).
- عبد الرحمن محمد القعود: الإبهام في شعر الحداثة: العوامل والمظاهر وآليات التأويل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ضمن سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٧٩، ذو الحجة ١٤٢٢هـ/ مارس ٢٠٠٢م.
- عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، دار صفاء، عمان، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م،
- عبد المتعال الصعيدي (ت: ١٣٨٦هـ): بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، (دط) ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله ت: ٣٩٥هـ): الصناعتين: الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الآستانة، ط١، ١٣٢٠هـ.
- علي سعيد جاسم الخيكاني: مفهوم السّكت في العربية وأثره في الإعراب والمعنى، مجلة العميد، السنة الرابعة، المجلد الرابع، العدد ١٦، كانون الأول ٢٠١٥م.

- غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).
- القزويني (جلال الدين محمد بن القاضي سعد الدين، ت: ٧٣٩هـ): الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).
- كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة د. أحمد مختار عمر، (دط) طرابلس، ١٩٧٣م.
- المتنبي، ديوانه بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه: مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د.ط، د.ت).
- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: د.علي دحروج عناية، و د. عبد الله الخالدي، ترجمة: د.جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب، نشر مكتبة وهبة، ط٤، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م
- محيى الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر، ودار ابن كثير، دمشق، وبيروت، ط٧، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- مسلم (أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)،
- مصطفى النحاس: من قضايا اللغة، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن على بن أحمد الأنصاري، ت: ٧١١هـ): لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- النووي (محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، ت: ٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين، ت: ٧٦١هـ): الألغاز النحوية، تح. موفق فوزي الجبر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م.
- يحيى محمد يحيى: دراسات وتطبيقات في علم المعاني، ط. الأمانة، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- يس بن زين الدين الحمصي، حاشية يس على شرح التصريح، مطبوع بهامش شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي وشركاه) بمصر (د.ت، د.ط).

References:

- The Holy Quran.
- Al-Aalusi (Shihab Al-Din Al-Sayed Mahmoud, d. 1270 AH): Interpretation of Roh EL- Maani, Dar Ehyaa Alturaath, Beirut, (W. E. D).
- Ahmed Kishk: Among the functions of linguistic sound is an attempt to understand morphological, grammatical, and semantic, Al-kahera, 2nd edition, 1997.
- Ahmed Mokhtar Omar: A Study of Linguistic Voice, Aalam Al-Kotob, Cairo, 1st edition, 1976.
- Al-Azhari (Abu Mansour Muhammad bin Ahmed, d. 370 AH): Refining the language, Achievement of Ali Hassan Hilali, review: Muhammad Ali Al-Najjar, The Egyptian House of Authorship and Translation (W. E. D).
- Badis Lahouimel: deliberative and Arabic rhetoric, published in the (Al-Mokhtabbar) magazine, researches in the Algerian language and literature, University of Mohamed Khader, Biskra, Algeria, Issue (7) 2011 AD.
- Bergstrasser: The Grammar Development of the Arabic Language, Achievement of Dr. Ramadan Abdel Tawab, Al-Samah, Cairo, 1929.
- Al-Baghawi (Abu Muhammad al-Hussein bin Masoud, ed. 516 AH): Explaining the Sunnah, Achievement of Shuaib Al-Arnaout, and Muhammad Zuhair Al-Shawish, Islamic Office, Damascus, and Beirut, 2nd edition, 1403/1983.
- Al-Tabrizi (Abu Zakaria Yahya bin Ali bin Muhammad bin Al-Hassan Al-Shaibani, d. 502 AH), Al-Kafi in Al-Arod and Al-Qawafi, Achievement of. Al-Hassani Hassan Abdullah, published by Al-Khanji Library, Cairo, 3rd floor, 1415 AH/1994 AD.
- Al-Tirmidhi (Abu Issa Muhammad bin Isa, d. 279 AH), Sunan Al-Tirmidhi, Tah. Bashar Awwad Maarouf, published by Dar Al Gharb Al Islami, Beirut, (W.E.D).1998. 10. Tammam Hassan: Research Methods in Language, Dar Al-Thaqafa, Casablanca, Morocco, 1st edition.11979.
- Al-Jahiz (Abu Othman Amr bin Bahr, d. 255 AH): Albayan wa Altabyeen, Achievement of Abd al-Salam Muhammad Harun, Al-Khanji Library, Cairo, 7th edition, 1418 AH/1978 AD.
- Al-Jorjani (Abu Bakr Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman bin Muhammad, d. 471 AH): Asrar al-Balagha, Achievement of Muhammad Rashid Reda, Cairo Library, 1959.

- Al-Jorjani (previous): Dalael Al- eajaz, Achievement of Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani in Cairo, and Jeddah, 3rd edition, 1413 AH/1992 AD.
- Ibn al-Jazari (Abu al-Khair Muhammad ibn Muhammad, d. 833 AH): publishing in the ten readings, see: Ali Muhammad al-Sabbagh, House of Scientific Books, Beirut (W. E. D).
- Ibn Jazi al-Kalbi (Abu al-Qasim Muhammad bin Ahmed bin Jazi, d. 741 AH): Al-Tasheel fe Oloom Al-Tanzeel, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1st edition, 1415 AH/1995 AD.
- Hossam El-Bahnasawy: Phonological Studies of Arab Scientists and the Modern Phonological Lesson, published by Zahraa Al-Shorouk, Cairo, 1st edition, 1426 AH/2005AD.
- Hussam Saeed Al-Nuaimi: Research in Aswat Al-Arabiya, Cultural Affairs House, Baghdad, 1st edition, 1418 AH/1998 AD.
- Hamdan Radwan Abu Assi: Performances accompanying the speech and its effect on meaning, The Journal of the Islamic University, Volume XVII, Second Issue, June 2009.
- El-Dsouky (Mohamed Ibn Arafa El-Desouky, ed. 1230 AH): A footnote to El-Desouky's explanation of Al-Saad, within explanation of the summaries, Dar Al-Bayan Al-Arabi Foundation for Printing, Publishing and Distribution, and Dar Al-Hadi, Beirut, 4th edition, 1412 AH/1992 AD.
- Ragheb Al-Isfahani (Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad d. 502 AH): Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Tah. Mohamed Kilani, House of Knowledge, Beirut (W. E. D)
- Al-Zubaidi (Muhammad Murtada Al-Husseini, 1205 AH): The crown of the bride is one of the jewels of the dictionary. Mustafa Hijazi, the National Council for Culture, Arts and Letters in Kuwait, within the Arab Heritage Series (16), 1st edition, 1422 AH/2001 AD.
- Al-Zamakhshari (Jarallah Mahmoud bin Omar, v. 538 AH): Al-kashaaf, Achievement of Adel Ahmed Abdel-Mawgoud, and Ali Muhammad Moawad, Al-Obeikan Library, Riyadh, 1st edition, 1418 AH/1998 AD.
- Al-Sakhawi (Abu Al-Hassan Alam Al-Din Ali Bin Muhammad, Tel. 643 AH): Gamal Al-Eqraa wa Kamal Al-Ekraa. Achievement of Ali Hussein Al-Bawab, Heritage Library, Makkah Al-Mukarramah, 1st edition, 1408 AH/1988AD.
- Abu al-Saud (Muhammad ibn Muhammad ibn Mustafa, d. 982 AH): his interpretation, Achievement of Abdul Qadir Ahmed Atta, Modern Riyadh Library, Riyadh, (W. E. D).

- Al-Suyuti (Abd al-Rahman ibn Abi Bakr, ed. 911 AH): Al_Ashbaah wa Al-nazaeer, Achievement of Ibrahim Muhammad Abdullah, publications of the Arabic Language Academy in Cairo, 1986.
- Sheikh Zadeh (Muhammad bin Musleh al-Din Mustafa al-Qawjawi, ed. 951 AH), footnote to Sheikh Zadeh on the interpretation of the oval, The Library of Truth, Istanbul, Turkey 1419 AH/1998 AD.
- Al-Tahawi (Abu Ja`far Ahmad bin Muhammad al-Azdi, ed. 321 AH): Bayaan Moshkal El-Aathaar, Achievement of Shoaib Al-Arnaout, Publishing House, Beirut (W. E. D).
- Ibn Ashour (Muhammad al-Tahir, d. 1393 AH): Al-Tahreer wa Al-Tanweer, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984 AD.
- Abdel Hamid Hassan: The Art of Speech, Culture Publishing House - Alexandria (W. E. D).
- Abdul Rahman Muhammad Al-Qaoud: The Thumb in Modernity Poetry: Factors, Manifestations, and Mechanisms of Interpretation, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Within the World of Knowledge Series, Issue: 279, Dhul-Hijjah 1422 AH/March 2002.
- Abdul Qadir Abdul Jalil: Modern Linguistics, Dar Safa, Amman, Jordan, 1st edition, 1422 AH/2002 AD.
- Abdel-Mutaal Al-Saidi (d. 1386 AH): with a view to clarifying the summary of the key in rhetoric, Library of Literature, Cairo, (D) 1420 AH/1999AD.
- Al-Askari (Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah, 395 AH): Alsenaatain: Writing and Poetry, Mahmoud Bek Press, Al-Astana, 1320 AH.
- Ali Saeed Jassem Al-Khikani: The concept of silence in Arabic and its effect on expression and meaning, Al-Ameed Magazine, fourth year, fourth volume, number 16, December 2015.
- Ghanem Qadduri Al-Hamad: Introduction to Arabic Phonology, Publications of the Iraqi Scientific Academy, Baghdad, 1st edition, 1420 AH/1999AD.
- Ibn Faris (Abu al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria, v. 395 AH): Maqayees AlLoga, Achievement of Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr for printing, publishing and distribution, Cairo, (W. E. D).
- Al-Qazwini (Jalal al-Din Muhammad ibn al-Qadi Saad al-Din, d. 739 AH): Al-Eedaah, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, Lebanon (W. E. D).

- Kamal Bishr: Phonology, Dar Gharib, Cairo, I 1, 1421/2000.
- Mario Bay: Foundations of Linguistics, translated by Dr. Ahmad Mukhtar Omar, Tripoli.
- Al-Mutanabbi, explained by Abi Al-Baqi Al-Akbari, seized by: Mustafa Al-Saqa et al., Dar Al-Maarefa for Printing and Publishing, Beirut (W. E. D).
- Muhammad Ali Al-Tahanwi: Encyclopedia of Arts and Science Terminology Encyclopedia, Achievement of Dr. Ali Dahrouj Enaya, and Dr. Abdullah Al-Khaldi, translation: Dr. George Zinati, Library of Lebanon Publishers, 1st edition, 1996 AD. 42. Muhammad Muhammad Abu Musa: Characteristics of the Compositions, published by Wahba Library, 4th edition, 1416 AH/1996 AD
- Mohy Al-Din Al-Darwish: The Syntax and Explanation of the Noble Qur'an, Al-Yamamah for Printing and Publishing, and Dar Ibn Katheer, Damascus and Beirut, 7th edition, 1420 AH/1999AD.
- Muslim (Abu al-Husayn ibn al-Hajjaj al-Qushairi al-Nisaburi, d. 261 AH): Sahih Muslim, Commentary: Muhammad Fuad Abd al-Baqi, Arab Heritage Revival House, Beirut (W. E. D).
- Mustafa Al-Nahhas: From Language Issues, Kuwait University Publications, First Edition, 1415 AH/1995 AD.
- Ibn Manzoor (Muhammad bin Makram bin Ali bin Ahmed Al-Ansari, d. 711 AH): Lesaan AL Arabs, Achievement of Amin Muhammad Abdul-Wahhab, and Muhammad al-Sadiq al-Ubaidi, Arab Heritage Revival House, and the Foundation for Arab History, Beirut, Lebanon, 3rd edition, 1419 AH/1999 AD.
- Al-Nawawi (Muhyiddin Abu Zakaria Yahya bin Sharaf, d. 676 AH): Almenhaag Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, the Arab Heritage Revival House, Beirut, 2nd edition, 1392 AH.
- Ibn Hisham Al-Ansari (Abu Muhammad Abdullah Jamal al-Din, 761 AH): Grammatical Puzzles, Achievement of Mowaffaq Fawzi Al-Jabr, Arab Book House, Cairo, I 1, 1417 AH/1997 AD.
- Yahya Muhammad Yahya: Studies and Applications in Meaning, i. The Secretariat, Cairo, I 1, 1410 AH/1989 AD.
- Yassin Zain Al-Din Al-Homsi, Hasheyat Yassin, by Sheikh Khaled Al-Azhari, Arab Books Revival House (Issa Al-Halabi & Co.) Egypt (W. E. D).

Contents

ALWASL UNIVERSITY

UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

ISSUE NO. 62
Dhu al-Qa'dah 1442H - June 2021CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. 157016
e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences
A Peer-Reviewed Journal - Biannual
(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

June - Dhu al-Qa'dah
2021 CE / 1442 H

62

Issue No. 62

Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae